طرباً جذلاً حيثما لا يجد الرجل العادي لذة وبالعكس. فقد قيل ان بوالو وروسو وجولد سمث وغيرهم من نوابغ الكتاب كانوا بلداء الفهم في مدارسهم. قال امرسن: « لو جعلت اختباري حكماً لي لحورت به كل الحكم الغراء التي قالتها عن العمل البدني الذي يعمله الكتاب. فلا باس ان يعمل الكاتب في حديقته لنفع صحته ولكن بقاءه فيها يجب ان يقاس بحاجات درسه لا بحاجات حديقته. فحيثما يزكو البنجر والحنطة والبصل والطماطم وغيرها من المنتجات الارضية لا تزكو المنتجات السماوية العالية »

ابي [1]

مضى والتقى نجمين في أفق جدّا ... وخلّفني من نوره انا والمجدا
فان ابكهِ تنهلّ للشعر مطرةٌ ... على كل ارض تفجر البرق والرعدا
وان ارثِ من اوصافهِ هبت الصبا ... مع الشمس ترمي في اشعتها وردا
تكلتُ يراعي ان تركت على الثجى ... ضنى كبدٍ لم استجدهُ له وجدا
وما هو شعري يوم ينتثر البكا ... اذا لم اساقط من لآلئهِ عقدا
ولا هو شعري يا أبي ان تركتهُ ... ولم تحفظ الايام منهُ لك « الحمدا »
بكيتك بل نفسي فوالله ان ارى ... يومك الاّ ركن نفسي قد انهدا
موتك قد ماتت لقلبي مواعدٌ ... من الدهر كان الصبرُ من بينها وعدا
فيا موثق الدنيا بآمالهِ اشتدّ ... فما غيرُ هذي النفس تحكمها شدا
ويا طالب الايام صفواً اما ترى ... ليومك ما يبيضُّ الاّ ليسودّا
تجزئنا الايام في حركاتها ... فان تركت فرداً فقد اخذت فردا
فيا ليتَ هذا الموت يأتي بمرةٍ ... ولكن لامرٍ ما أعاد وما أبدى
واولُ موتِ الحيّ موتُ حبيبهِ ... وكالفقد وجدانٌ طوى نحتهُ فقدا
يعيش الفتى بعد الحبيب كانهُ ... بقي خطأً مما يرى نكداً عمدا
وما يعرف المفجوعُ طالت حياتهُ ... أفي عيشهِ ما امتدّ أم موتهُ امتدّا

(١) هو فضيلة الاستاذ العلامة الكبير المرحوم الشيخ عبد الرزاق الزاهي حكيم القضاة الشرعيين في مديريات القطر المصري وكان رحمه الله من افراد الدنيا في الفقه الاسلامي على مذهب ابي حنيفة ويجمع الى ذلك من الاخلاق والورع والتقوى امثالاً. توفي في شهر يونيو من هذه السنة

كأن همومي من فراق احبتي على قدر ما بيني وبينهم بعدا

***

أبي ما أبي لو أسكن الله في الثرى ملائكةً لاستحدثوا عنده وُدّا
ولو طلبت عيناك في الارض مثلهُ مثالاً سماويًّا لاشبههُ جدّا
هدًى يفجرُ الليلَ الدجوجيَّ سنّتهُ فما كان الاَّ طلعةَ الفجر او أهدى
وعلمٌ اذا رجّافةُ المحلّ نواهُ رأيت بهِ بحرَ الشريعة قد مدّا
وخلقٌ لو ان الله سوّاهُ قائماً رأى الناس معنى ما يسوسهُ رشدا
ومن زهر نور الله في روض قلبهِ حديث لهُ لا اثم فيهِ ولا حقدا
يرى حاضروهُ أنما هو مسجدٌ بما أُلبست اخلاقهُ الطهر والزُّهدا
فيا موتُ ما قدّمتَ منهُ لربهِ سوى زهرة في كف خالقها تندّى

***

واروع في عليا معدٍّ اذا اعتزى وفي النفر الغرّ الكرام اذا عدّا (١)
ترى الجبلَ الراسي بمثل وقارهِ رسا فسما فاستجمع الخلق الصلدا
تروعك منهُ هيبةٌ عمريةٌ وحسبك من امسى لهُ عمر جدّا (٢)
وما هي الاَّ عن نزارٍ ويعربٍ حبا بطلٌ جمدٌ بها بطلاً جمدا (٣)
فجاء كنصل السيف يهتزُّ مصلتاً يد الله منهُ وحدها سنَّت الحدّا
كما اعتصرتهُ انفسٌ عربيةٌ رماحاً وأسيافاً وألسنة لدّا (٤)
فمن يلقهُ يلق الزمان بملكهِ جحاجحةً بل ملكهِ حسباً عدّا (٥)
ومن يتأملهُ يميناً وشمالاً رأى ههنا مجداً ومن ههنا مجدا
ومن كان في التاريخ لجدُّ جدودهِ نجدهُ من التاريخ قد ورث المهدا
وكم شيمة كالعضب منهُ انتضيتها وألغيتها في غيرهِ طبعت غمدا
بما بلغت نفسُ الفتى يعرف الفتى وذو الجدّ ان يهزل فما ان عداجدّا
وفي الناس ابطال ترى الفرد منهمُ وحيداً ومن اخلاقهِ حشد الجندا

(١) معد بن عدنان ابو العرب (٢) ينتهي نسب الاستاذ رحمه الله الى عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم (٣) الجمد الكريم (٤) الالسنة اللد التي تذب ابدا في خصومتها لقوة بيانها (٥) الجحجحة السادة والحسب المد القديم الكريم الذي يكافىء ما شئت من حسب

ولن تبصر الليث الغضنفر في امرىء اذا لم تشاهد انفساً خلقت أسدا

***

على انهُ أندى حناناً من الندى واعطفُ من ردّ النسيم اذا ردّا
وما كنت ادري اهوَ في بردهِ اشتدى ام الملك السامُ قد لبس البردا
وما قبلهُ للحب قبلٌ عرفتهُ ولا بعدهُ ألفي لذاك الرضا بعدا
وللروح عيش من وجوه تحيطها فوجه يرى بؤساً ووجه يرى رغدا
واشهد ما في الارض من صنع ربها كقلب اب برّ يحبُّ بهِ الولدا
فلولا حنانُ الوالدين لما رأى بنو الارض شيئاً يعقلون بهِ الخلدا
ومن حبِّ آباء الصغار صغارهم تعوّدُ روح الطفل ان تسكن الجلدا
ولو نظر القومُ الغلاةُ لأيقنوا معادَهمُ ما دام آباؤهم مبدا

***

نعالك لسان الغيب في مسمع التقى من البضعة الغراء يقصدها قصدا (١)
يؤذنها في مطلع الفجر مخبراً بموت ابيها وهي تسمعُ ما اهدى
فلولاك لم ترجع الى الارض رجعةٌ تذكرها جبريلَ والوحيَ والعهدا
وان ذكروا ندَّ العلى في الورى فلن يذكروا في هذه ابداً ندّا
على فضلك البرهان جاءت بهِ السما فهل الارض من هذا يطيق لهُ جحدا
ويا ابتي ان الوداع لغاية أكدَّ اليها الدهرَ في سيره كدا
ومن اركبته الارض انفسها انتهى بحيث انتهى من ركب العيشة النكدا
بدائرة الاعمار شرقٌ ومغربٌ ولكن يسمى ذاك نحساً وذا سعدا
ومن حيثما يممت نحو محيطها تراهُ على كل الجهات ارتمى سدّا
خلقنا بارض كوّرت وتقلبت فهما يدُرّ فيها فتقلبٌ ضدا

***

عليك سلامُ الله ما بين روحهِ وقبرك بعضى من رواح الى مغدى
ويا خيرَ مولًى انت ارحمُ رحمةً واكرمُ من تجري مكارمهُ « عبدا »

مصطفى صادق الرافعي

(١) يشير الى الهاتف الذي هتف بكريمة الاستاذ وهي بمدينة الجيزة ليلة وفاته ينبئها بموته وقد نشر ذلك في المقتطف